

د/ مباركة حاجي

جامعة الجزائر 2

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم الفلسفة

الجسد في السياقات الدلالية و الاصطلاحية

ملخص:

يرصد المقال موضوع الجسد في مختلف السياقات الدلالية و الاصطلاحية، مع توقف عند مدلول و مفهوم الجسد في القرآن الكريم، و استعراض لمختلف الدلالات اللغوية و التعبيرية لحركات أعضاء البدن أو الجسد الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الجسد ؛ البدن ؛ الجسم؛ كيان ؛ السياق ؛ دلالة ؛ السيمياء ؛

فينومينولوجيا؛ لغة الجسد

Résumé :

l'article traite du sujet du corps dans divers contextes sémantiques et idiomatiques avec le sens et le concept du corps dans le langage courant et l'examen des diverses connotations linguistiques et les mouvements expressifs des membres du corps humain.

this article treats the subject of the body in various semantic and idiomatic contexts with the sense and the concept of the body in the healthy current and the exam of various linguistic connotations and expressive movements of the human body.

الجسد في القرآن الكريم

الفرق بين الجسد و الجسم في القرآن الكريم

الجسم و الجسد كلمتين مترادفتين في المدلول و المعنى، يستعملان في سياقات كثيرة للإحياء و التقابل، غير أنّ المتدبر للقرآن الكريم يجد أنّ الباري عزّ وجل فرق بين اللفظين و جعل لكل منهما معنى دلالي و لغوي مغاير، فالجسم في السياق القرآني يطلق على البدن الذي فيه حياة و روح و حركة، إما الجسد فيطلق على حالة الإنسان بعد وفاته و خروج الروح منه، حيث لم يبقى منه إلا صورته المادية، و هي باردة لا حياة فيها، كقطعة من خشب أو هي تمثال جامد، إذا لم يبادر الأحياء إلى إكرامه بالدفن، تحللت و أصبحت موطن استقذار الأحياء من الناس.

لقد وردت كلمة "جسم" مرتين في القرآن الكريم.

1_ وردت في سورة البقرة في سياق الأخبار عن أحوال بني إسرائيل مع

أنبيائهم: ﴿ثُمَّ أَتَاهُ جِبْرِيلُ بِحَبْرَةٍ مِّنْهُ يُرِيهِمْ صُورَهُمْ ۖ فَتَضَعُهُمْ أَثَرَهُمْ ۚ وَجِئْنَا بِكَوْكَبٍ مُّذْنِبٍ يُّبَصِّرُ الْبَصِيرَ ۚ﴾ **الأء راف: ٨٤١**

و قد وردت هذه الآية في سرد قصة بني إسرائيل مع نبيهم موسى عليه الصلاة و السلام، حيث استغلوا غيابه و صنعوا عجلا و هو تمثال من الذهب صنعه السامري و دعاهم لعبادته.

2_ وردت كلمة الجسد كذلك في سورة طه في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَتَاهُ لُحْمٌ يُذْوِىٰ ۖ وَكَأَنَّهُ لَسِيمٌ ۚ﴾ **ط ٨٨**

و قد ذكرت في سياق قصة بنو إسرائيل مع نبي الله موسى.

3_ كما وردت هذه الكلمة في آية القرآن الكريم في قوله تعالى في سورة

"ص" ﴿ثُمَّ أَتَاهُ يَرِيبٌ ۚ إِنَّ فِي هَٰذَا لَآيَاتٍ لِّمَن يَّرِيبُ ۚ﴾ **ص: ٤٣**

و تشير الآية هنا إلى جسد ألقى على كرسي نبي الله سليمان الذي أوتي من كل شيء، كما ميزه الله بقوة الجسم لم تكن لغيره، و قد وثق في لحظة متيقنا من هذه القوة دون

أن يتبعها بذكر مشيئة الله، فأراد الله أن ينبه لخطئه. و قد وردت قصة هذا النبي الكريم في حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم انه قال: " قال سلمان ابن داود: لاطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارسا يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه ان شاء الله فلم يقل و لم تحمل شيئا إلا واحدة ساقطا أحد شقيه فقال النبي صلى الله عليه و سلم لو قالها لجاهدوا في سبيل الله.

4_ أما المرة الرابعة التي وردت فيها كلمة الجسد في القرآن الكريم، ففي قوله تعالى في سورة الانبياء طُأْتُ أُلُكُومًا بِجَبْجَبٍ بِهَجْجَةٍ تَحْتَحْتَرَّتْهُ **الأنبياء: ٨**

و قد أوردها الباري عزّ وجل للتأكيد على الأنبياء كانوا رجالا أحياء، لهم أجسام تتحرك و لم يكونوا أجسادا جامدة هامة.

اذن كلمة جسد وردت في القرآن الكريم مرادفة لصفة الجماد و للميت و نفيت عن الأنبياء الاحياء الذين يأكلون الطعام و يمشون في الأسواق و يعاشرون النساء، فالجسد هو التمثال الجامد، أو بدن الإنسان بعد وفاته و خروج الروح منه، أمّا الجسم فيطلق على الدن الذي يحوي الروح، ففيه حركة و نبض و حياة.

الجسد في السياق الفكري الفلسفي:

من ابرز السياقات الدلالية لمفهوم الجسد كذلك ما نجده متداولاً عند الأدباء و الفلاسفة، أين يأخذ هذا اللفظ (الجسد) أبعاداً فينومينولوجية، و جمالية و أخلاقية و نفسية: " فالجسد الفينومينولوجي الذي اهتمت بدراسته السيكلوجيا و التحليل النفسي يشكلا "أنا جسدية" تدخل في علاقة مباشرة مع الآخر فضاء و زمنا. و تصوغ لنفسها ما تسميه الممارسة التحليلية " صورة أو خطاطة الجسد" باعتبارها تشكل الوعي الأول و المباشر بوحدة الجسد و موقعه في العالم و صورته و مظهره".¹

لقد شغل موضوع الجسد بأبعاده الدلالية حيزاً من القضايا الفكرية الحديثة، و قد انعكست أبعاده و تجلياتها على الأدب عامة رواية و نثراً، و على المسرح و على سائر

¹فريد الزاهي، الجسد و الصورة و المقدس في الاسلام، إفريقيا الشرق، 199، ص30.

الفنون التعبيرية و التشكيلية، التي أخذت بمناهج التأويل السيميائي في تفكيك عالم الدوال الحسية، و الوقوف على ما ينتهجه الجسد من قيم اجتماعية تعكس قضايا الوعي لدى المجتمعات.

يقول مارك ريتشر: "إذا نحن فهمنا الإنسان باعتباره كائناً في العالم أو ظاهرة من العالم، فإنّ leib، أي جسده المعيش أو جسده الحي أو جسده البدني (حيث يلزم فهم بدن chai بالمعنى الذي أعطاه أباه ميرلوبونتي في المرئي و اللامرئي) يشكل جزءاً منه من غير أن يكون أبلاً قابلاً لأن يعزل عنه كجزء مستقل"¹.

و من خلال الوقوف على المعطيات المختلفة و المستويات المتعددة التي يطرحها التناول الفكريو الفلسفي و الأدبي للجسد يمكن أن نحدد التفسير أو النموذجالتقريبي للمفهوم التداولي على الشكل التالي:

1. الجسم: و يدل على الجسد الموضوعي الذي يتألف مع كل الأجسام سواء منها **الحيواناتية**أو الجرمية.

2. البدن: هو الجسد اليومي الذي يخضع لقوانين و سنن التواصل الاجتماعي، حيث وقع التواضع عليه بحيث أصبح جسداً مشتركاً بين كل الناس. فهو صورتهم المميزة و عماد أفعالهم اليومية و الوظيفية، و منه فهو جسد وظيفي يخدم أهداف خارجة عن مقوماته الشخصية.

3. الجسد: و هو يقابل لدى بول ريكور مفهوم cheir، و لدى ريتشر leib، إنه الجسد الشخصي الذي يشكل الوحدة الأنطولوجية التي تم وجود الكائن في العالم و من ثمة فهو يشكل هدفة الوجود الذاتي للإنسان.²

يمتلك الجسد خصوصية فيزيقية توهم بانفصاله عن مختلف مجالات التمثيل إلا أنه لا يمكن إدراك ماهيته إلا من خلال تمثل العناصر و الادوات التي تنظم علاقة الإنسان بمحيطه الخارجي كاللغة، و الدين،و السلوكات العامة و منه نستنتج أنّ الجسد تجاذبه

¹ M.Richir, phénoménologie et institution symbolique, edLérôme Million, Paris 1988, p187.

²فريد الزاهي، الجسد و الصورة و المقدس، ص 32.

مجموعة من العلوم و الحقول المعرفية التي تقترح تصورات متباينة لوظائف الجسد و أعضائه و إيماءاته نقف م خلالها على المرمى الجمالي الرمزي، و الأنثروبولوجي التواصلية. إنّ السيمياء أو السيميولوجيا، هي علم يدرس الانساق العلامية اللفظية و غير اللفظية، لكونها تتناول القواعد التي تنتج الظاهرة الدلالية و تتحكم في سيرورتها، و تولي اهتمامها للظاهرة في خصوصياتها و تميزها و ما الثقافة إلا مجموعة من المظاهر السلوكية ذات أهداف تواصلية، تندرج ضمن أنساق دلالية.¹

لذلك فإنّ ما " يصدر عن الإنسان لا ينظر إليه بحرفيته، بل يدرك باعتباره حالة إنسانية مندرجة ضمن نسق ثقافي، هو حالة لوجود مجتمع، و وجود الأخير رهيف بوجود العلامات، فكل مظاهر الوجود اليومي للإنسان تشكل موضوعا للسيمياء"².

و تعتبر سيمياء الثقافة من أهم الاتجاهات التي ظهرت في دائرة الدراسات السيميائية تواصلية، فنصب اهتمام أصحاب هذا الاتجاه بدراسة الظواهر الثقافية باعتبارها عمليات تواصلية، ترتبط باللغة المستويات الثقافية و الايديولوجية الثقافية "مؤكدین أن العلاقة تتألف من دال و مدلول و مرجع ثقافي"³.

و عليه فإن تتبع "الجمال الجسدي للمرأة في الإسلام يشكل إشارة لثقافة الجسد في الاسلام التاريخي. و هو من ثمة لن يخرج عن هذه القاعدة العامة: قاعدة البوح و الصمت، فقد تذكر مفاتن المرأة كلها و تسرد أعضائها دون تحفظ"⁴.

و إذا بحثنا في المظاهر الثقافية و أنماطها التواصلية وجدنا أنّ سيميائيات الثقافة هي الاتجاه الجديد الذي جمع بين الدلالة و التواصل، و تعود سيميائيات الثقافة إلى فلسفة الانتقال الرمزية عند كاسيريرو إلى الفلسفة الماركسية و تنطلق من اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات واصلية و انساقا دلالية، و الثقافة عبارة عن إسناد وظيفة الأشياء الطبيعية و

¹ نصر الدين بن عنبسة، جدلية الكوني و الخاص في سيمياء الثقافة و الاتصال الثقافي، المعنى، مجلة أدبية محكمة المركز الجامعي، خنشلة، الجزائر، العدد الأول، ط 2008، ص 7.

² عبدة صيطي، نجيب بخوش، مدخل السيميولوجيا، دار الخلدونية، ط 1، 2009، ص 19.

³ بسام موسى فطوس، سيمياء العنوان، عمان، الأردن، ط 1، 2001، ص 21.

⁴ فريد الزاهي، الجسد و الصورة و المقدس في الإسلام، ص 75.

تسميتها و تذكرها، يحاولون الكشف عن العلاقات التي تربط جلبيات الثقافة المختلفة أو بين الثقافة و اللاتقافة، باعتبار الظواهر الثقافية ذات مقصديه تواصلية¹.

لقد اعتبرت السيسولوجيا الجسد البشري علامة داخل نسق رمزي معين، يشير إلى انتماؤه لوضع أو نموذج اجتماعي معين، مؤدية بذلك إلى تسليط الضوء على جوانب متعددة من الجسد، تبرز انبهاره بالتنظيم الاجتماعي و خضوعه للأيديولوجيا المهيمنة الهادفة للإنتاج و إعادة الإنتاج، فضلا عن ذلك اهتمت السيسولوجيا بأوضاع تتعلق بالجسد، من قبيل مثلا اشكال الخطاب و الطقوس و طرق الاكل و الشرب و الاغتسال و الجلوس و التحية، و غيرها من الحركات التي تميز انتماؤها الاجتماعي الأنثى، الأمر الذي جعل الجسد في ظل السيسولوجيا مزيجا من العلاقات و الرموز و التنظيمات الاساطيرو غيرها². و للإشارة يمكن القول أنّ علم الاجتماع سابقا "نادرا" مع ذكر بطريقة ثابتة على الكائن البشري الجسدي، على اعتبار أنه يجوز أهمية بذاته و لا غرور في ذلك، فقد عدّ الجسد عادة ملكية طبيعية و فردية تقع خارج نطاق اهتمامات ذلك الفرع الاجتماعي المشروعة، و الحال إنّ المنظرين لم يفهموا الجسد على اعتباره أنه أساسي للفاعل البشري و المشروع السوسولوجي، إلّا حين شرع علم الاجتماع في التشكيك في التمييز بين الطبيعي و الاجتماعي، عل ذلك يمكن أن نجادل أيضا بأنّ الجسد كان حاضرا في صميم الخيال السوسولوجي"³.

و من ضمن صور الاهتمام بالجسد تبرز السيسولوجيا كعلم حاول الغور في الجسد في عدة محاولات انبرى لها رجالاتها من المفكرين، حيث تعد سيسولوجيا الجسد من الميادين الحديثة نسبيا في السيسولوجيا و العلوم الاجتماعية، إذ يحاول هذا الميدان معرفة العلاقة بين الجسد و مؤثرات المجتمعو عوامله المختلفة⁴.

¹ فيصل الأحمر، الدليل السيمولوجي، دار الألفية للنشر و التوزيع، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2011، ص109_110.

² خلود السباعي، الجسد الأنثوي و هوية الجندر، بيروت، جداول للنشر و التوزيع، ط1، 2011، ص29.

³ كرس سلع، الجسد و النظرية الاجتماعية، تر: د. منى البحر و نجيب الحصادي، القاهرة، دار العين للنشر، ط1، 2009، ص29.

⁴ أنتوني غدير، علم الاجتماع (مع مدخلات عربية) ترجمة و تقديم: فايز الصباغ، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، مؤسسة ترحبان، ط4، 2005، ص225.

إنَّ الاهتمام بالجسد في دائرة الانساق المعرفية لم يكن قديماً جداً، و إنما انبرت اطروحات فكرية محاولة الإشارة إلى الجسد ككيان غامض، يحتاج لكثير من التأمل في دواخله، و أطره، و علاقته و تفاعله مع المحيط. و يمكن القول أنَّ الملامح الأولى للاهتمام بالجسد كانت من خلال اليونانيين، حيث من الممكن أن نلمس إجلالهم و تقديرهم للجسد من خلال ما أبدعوه من فنون متعددة، تبين كيف كان الجسد مثار اعجاب و تقييم مثالي آنذاك. بعد ذلك جاءت المسيحية التي قدست الروح على حساب الجسد، الأمر الذي الأمور الاهتمام بالجسد في بعض العلوم التي اكتف بالنظر إليه وفق بعده البيولوجي أو التشريحي الصرف، إلا أن تلك المقاربة الدينية التي سادت في القرون الوسطى لم تنف الاهتمام بالجسد في بعده **الأبوسي**، الذي ظل مختفياً إلى أن جاء عصر النهضة ليعين عن وجوده من خلال عدة فنون تمثلت بالنحت و الشعر و الرسم¹.

لقد كان المصريون القدماء أول من اقترب من الجسد ولامسه وسائل هذا الغلاف الانساني، و ذلك من خلال عمليات التحنيط التي كانوا يقومون بها في تحنيط الجسد (الجبنة السوما souma) بحسب فرنان، والقصد منه تمجيد للمظاهر و محاولة لاحتفاظ الجسد بمادته التي تتلف بتحنيطها، و ذلك للاستعاضة عن هروب الروح منها².

وإذا رجعنا إلى تاريخ الفلسفة نجد " أرسطو قد اعتبر الجسد موضوعاً فيزيائياً يمكن تعقله، و من ثم فهو قابل للدراسة العلمية، لذا حاول تصنيفه وفق وظائفه و أجزائه معتمداً النظرية الذرية لديموقريطس _ فالجسد حسب أرسطو _ جوهر محسوس له صورة، تتجذر فيه الحركة التي تمثل الانتقال من الضد إلى الضد، كالانتقال من البارد إلى الحار أو العكس، وهذه الخصائص لا تسري على الجسم الحي وحده، بل تتعداه إلى كل الاجسام سواء السماوية أو الأرضية، سواء كانت حية أو جامدة، هذا وإن اخفت أنواع حركتها³.

¹خلود السباعي، الجسد الانثوي و هوية الجندر، مصدر سابق، ص 24.

² منى فياض، فخ الجسد: تجليات نزوات و أسرار، بيروت، رياض الريس للكتب و النشر، 2000، ص 22.

³يوسف تيس، تطور مفهوم الجسد: من التأمل إلى التصور العلمي، مجلة عالم الفكر، العدد 4، المجلد 32، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، 2009، ص 41.

و الحقيقة أن الآراء و التصورات حول الجسد قد تباينت و اختلفت لدى أهل الفكر و العلم ذلك أن كل مدرسة أو اتجاه فكري يفسد كينونة الجسد وفق تأملاته وسياقه الفكري و العلمي الخاص، "فلقد تراوحت التصورات الفلسفية للجسد بين النزعات العقلانية و الظاهراتية و المادية بجميع مشاريعها، مثل التصورات حول العلاقة الثنائية بين الفكر و الجسد (ديكارت) أو النظر إلى ما يقدر أن يفعله الجسد أو ما لا يقدر عليه من جهة (سبينوزا، شوبنهاور، بنتشه، فرويد)، أو العبور على ثنائية الجسد و الفكر من جهة (إدموند، هوسرل، و ميرلوبونتي، و ميشال هنري)، في حين أن التصور العلمي يركز على الجانب الفيزيائيو الكيميائي و البيولوجي كأساس يستند عليه في تصوراته"¹.

و الجديد بالملاحظة هنا أن تطور كبير في العصر الحديث في موضوع الجسد "حيث بات (الجسد) بعد انتهاء القرن العشرين مفتاحا مهما يتحلل الكثير من العلاقات السياسية و الاجتماعية و الثقافية و الاقتصادية، و في الطب و العمل و الاستهلاكو العمل الأدبي."²

إنّ الجسد عند المرأة رمز الأنوثة، و مبعث إغواء و إغراء الرجل، غير أنّ بعض الفلاسفات القديمة صورت الجسد عائقا أمام سمو الروح و جلاله، فإنّ الفلسفة الفينومينولوجية تنتصر للغة الجسد. و قد وصل ذروة التجميد مع السوراليين الذين تغنوا بمفاتيح المرأة بطريقة شيقة، و هم يتمون هذا المنحى رغم تيقنهم بما يؤدي إليه من عواقب يقول اندري بوتن: "أيها الحب الجسدي إنني أعبد ظلك السام، ظلك القاتل، و لن أنصرف عن عبادته أبداً، سوف يأتي الذي يعرف الانسان فيه بأنك سيده الأوحده، و يمجدك حتى في أروع ما تهيء له من فساد"³.

لقد استلهم المتصوفة مصطلحات الغزل الحسي التي لازمت أشعارهم على الرغم من أنّ الحب الجسدي لم يكن إلاّ معبرا يسلكه نحو هدف أسمى و هو الحب الإلهي الخالي من

¹يوسف تيس، تطور مفهوم الجسد، ص34.

²PhilipHaucock and others, the Body, Culturel and Society : au introduction, opeu university press, Bidd, esetd, Butish, 2000, p1.

³نقولا سعادة، قضايا أدبية، ط1، دار مارون عيود، 1984، ص18.

كل الشوائب الدنيئة، فليست المرأة جسدا يحقق للرجل نزواته، لكنها تكشف للجمال الكوني...
و هي بالنسبة ل جلال الدين الرومي " قبس من نور الإلهي"¹.

فالحب إذن ينطلق من المحسوس ليصل في آخر المطاف إلى حب روحاني و
مطلق، و قد صورت " ديوتاما Diotima، قديسة " مانيتينا Mantenion " لسقراط في المأدبة"
لأفلاطون، هذا التدرج في الحب إذ يحب المرء في بادئ الأمر مخلوق جميلا، و بعد أن
يعمم هذا الجمال على أجسام أخرى ينتقل إلى حب جمال الروح، و يصل في الأخير إلى
الجمال الأدبي...الجمال الذي لا وجه له و لا يد له و لا يتراءى في شكل ما من أشكال
الجسم"².

إن الجسد كيان معقد، يمثل البعد الواقعي فينا، يطرح لاعتبارات كثيرة مسألة الوجود
الانساني هل هو مادة أم جوهر، كما يطرح ثنائية الشكل و المضمون. و قد اختلف
المنظرون في تحديد كينونته و القيمة التي يتضمنها بين طبيعة الجانب الفيزيولوجي و
الصفات التي نحملها و كذا الهيئة التي يكون عليها، و الروح التي نحمل هي التي تحدد
قيمة وجودنا_ ذكر أم أنثى_، فالجسد كان معقد بأنظمته البالغة الحساسية.

"إن حقيقة الجسد تتمثل في كونه يحتل مكانة هامة في حياتنا اليومية، إنه المبدأ
المنظم للفعل و الهوية التي نعرف و ندرك بها و نصنف من خلالها، و هو أيضا الواجهة
التي تخون نوايانا الأكثر سراً، ليس غريبا أن نلح في الحديث عنه و نتغنى بجماله و نربت
عليه، و ننصت إليه في قوله أو فعله، وفي جده و أهزله في سكنا-ته و حركاته و في
إيماءاته و في لغته"³.

والجسد في الأسئلة الفلسفية اليونانية موضوع مادي، فهو المكون المادي للنفس التي
تمثل الكل و الوحدة فهو " الجسد الموضوع، الجسد من أجل الملاحظة، الجسد الغريب في
العمق، جسد نظرية الثالث theorie de troisieme persone"⁴.

¹منصف عبد الحق: الكتابة و التجربة الصوفية، نموذج محيي الدين بن عربي، ط1، منشورات عكاظ، المغرب، 1988، ص439.

²محمد عثمي هلال: الحياة العاطفية بين العذرية و الصوفية، ط2، مطبعة النهضة، مصر، القاهرة، ص218.

³سعيد بنكراد، السيميائيات مفاهيمها و تطبيقاتها، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2003، ص19.

⁴Pathocka, jan, Etudes phenomenologiques, Bruxelles, sditionsousia, 1985, p.42.

و نجد هذه الرؤية حاضرة في النص الأفلاطوني حيث إعتبر الجسد سجناً للنفس، يحجزها و يعيق تحركها، لذلك يجب أن يقاد، بدل أن يقود، و قد جاء في محاورته "الفيدروس" في أثناء حديثه عن الأنفس الثلاث من خلال مثال السائق الماهر الذي يقود عربة بفرسين: فرس أسود و فرس أبيض، يعتبر أفلاطون السائق بمثابة النفس العاقلة ذات الطبيعة السماوية فنياً، في حين أن الفرسين بمثابة النفسين الميتين، أما الفرس الأبيض فهو التيموس le thimos نفس تستقر في القلب يمكن الإنسان من الدفاع و تضمن إرادة الحياة، و أما الفرس الأسود فيمثل الإيبيتوميا l'epitumia، إنها نفس مرتبطة بالجسد، و شهواته الأرضية السفلى، شهوات الأكل و الشرب و الجنس، نفس متهورة تقود في حال إنفلاتها عن العربة إلى التيهة الفقدان، إنّ النفس العاقلة هنا عليها أن تقود العربة بحكمة حتى تضمن الوجود المتوازن في الميسر أمام تهور الجسد الذي يهدد بالفناء و الفقدان.¹

لغة الجسد في القرآن الكريم:

توقف علماء اللغة و البلاغة عند العلاقة بين اللغة المنطوقة و لغة الجسد حيث يستوقفنا نص لابن جني* في سياق حديثه عن أثر التنغيم في اتلاف الدلالة في قوله: >> تقول: سألناه فوجدناه انساناً. و تكمن الصوت بإنسان و تفخمه، فتستغني بذلك عن وصفه بالضيق قلت: سألناه و كان إنساناً. و تزوي وجهك و تقطبه، فيغني ذلك عن قولك انساناً لئيماً أو لحزاً أو مخبلاً أو نحو ذلك>>². و إذا رجعنا إلى البحث عن علاقة لغة الجسد بالبلاغة تستوقفنا بلاغة الجاحظ و أسلوبه في الحديث عن هذا الموضوع في كتابه "البيان و التبیین" إذ يقول: >حو الإشارة و اللفظ شريكان، و نعم العون هي له، و نعم الترجمات هي عنه، و ما أكثر ما تنوب عن اللفظ، و ما تغني عن الخط...و في الإشارة بالطرف و الحاجبو غير ذلك من الجوارح موقف كبير، و معونه حاضرة، في أمور يسترها بعض الناس

¹ Leditraison, serge et zesuik, Eric, le corps des philosophes, paris, p.u.f.1 edition, 1993 pp.

* ابن جني: أبو الفتح ابن جني (ت 392 هـ).

² ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ج2، ص371.

من بعض، و يخوفونها من الجليس و غير الجليس. ولولا الاشارة لم يتفاهم الناس معنى الخاص و لجهلوا هذا الباب البتة<>¹.

و قد أسهب الجاحظ في هذا الموضوع حيث نجده يشير في نفس السياق إلى أنّ الاشارة أحياناً أبلغ من العبارة في قوله: " و مبلغ الاشارة أبعد من مبلغ الصوت. فهذا أيضاً باب تتقدم فيه الإشارة الصوت"...>>فرب كناية تربي على إفصاح، و لحظ يدل على ضمير، و إن كان ذلك الضمير بعيد الغاية<>².

هذا و تتعدد الدلالات التعبيرية للغة الجسد في السياق القرآني نقف عند بعضها:

1. دلالة لغة العيون:

العين مرآة القلب، تفصح عما يتوارى داخل الوجدان، و تفصح أحياناً مواقف الفرد و حالاته و يفسر ابن حزم الأندلسي الثراء الدلالي للعين بقوله:>> فالإشارة بمؤخرة العين الواحدة نهى عن الأمر و تفتيرها إعلام بالقبول، و إدامة نظرها دليل على التوجع و الأسف، و كسر نظرها آية الفرج و الإشارة إلى إطباقها دليل على التهديد، و قلب الحدقة إلى جهة تم صرفها بسرعة تنبيه على مشار إليه، و الإشارة بمؤخرة العين كلتاها سؤال، و قلب الحدقة من وسط العين إلى المآق بسرعة شاهد المنع، و ترعيد الحدقتين من وسط العين نهى عام<>³.

و لسعة الموضوع يمكن أن نختصر الحديث بالوقوف عند بعض الدلالات في لغة

الجسد التي أشار إليها القرآن الكريم:

و يعبر أحد الشعراء عن دلالة لغة العين بقوله:

عينك قد دلتا عيني على

أشياء لولاها ماكنت أدريها

تظل في نفسك البغضاء كاهنة

¹ أبو عثمان عمرو بن عبد الجاحظ، البيان و التبیین، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ج1، ص78.

²المصدر السابق، ص79.

³ ابن حزم الأندلسي، صوت الحمام في الألفة و الألاف، مكتبة عرفة، دمشق، 1349هـ، ص29.

فإذا كان التعبير اللغوي استجابة لدى الإنسان عن انفعال و تفاعل، إلّا أنه_ أي الانسان_ يلجأ في مواقف مختلفة إلى التعبير الجسمي، كوضع الأصبع في الأذن نتيجة الانفعال و الغضب أو الخوف و الكراهية كما في قوله

فهم من سياق الآية أنّ الكافرين لجئوا إلى إغلاق آذانهم خوفاً من الصواعق، محاولة منهم لحماية أنفسهم و هذا سلوك عزيزي عند الإنسان حيال سماع القنابل و الانفجار مثلا أو أثناء الحروب و كأنّ هذه الحركة قد تحميهم من الهلاك.

و هنا يصور السياق الدلالي الذي جاءت فيه هذه الآية ردة فعل المنافقين اثر سماع القرآن الكريم حيث تكشف هذه النظرات حالتهم النفسية الراضة للوحي، فلا شك أنّ هذه النظرات تشمل الهمز و الغمز الذي يدل على إنكار الوحي.

5_ النظرات الخائنة: كما في قوله تعالى، طَأْتَأُ □ □ □ □ □ عَفْر: ٩١

305

ب. لغة الوجه: تختصر تعابير الوجه ما يحول في ذه و وجدان الانسان من أحوال مختلفة متباينة، كالانقباض، و الانبساط و الفرج و العبوس، و الحيرة...إلخ. حيث يرى فخر الرازي: (أن الأحوال الظاهرة في الوجه قوية الدلالة على الأخلاق الباطنة، فإنّ للخجالة لوناً مخصوصاً في الوجه، و للخوف لوناً آخر، و للغضب لوناً ثالثاً، و للفرح لوناً رابعاً، و هذه الألوان متى حصلت في الوجه فإنه يقوى دلالتها على الأخلاق الباطنة>>².

و قد جاء كذلك في القرآن الكريم توصيف لحالة الحزن التي تعبر عنها العين في قوله

و كذلك في قوله تعالى، ط ا ت ا ا س س □ □ □ □ □ □ □ □ يوسف: ٤٨

2_الازدراء: و تكشف آيات القرآن الكريم عن حالة أخرى من التعبير الجسدي للوجه و العين بالتحديد كذلك هي حالة الازدراء و الاحتقار، كما في قوله تعالى،

3_ الذهول و

يرى صاحب الظلال "سيد قطب" في معنى هذه الآية أنه >> تعبير لا يمكن محاكاته، و لا ترجمته إلى أي عبارة أخرى. و هو يرسم الخوف إلى حد الهلع، و الضعف

² الرازي فخر الدين: (606 هـ)، الفراسة، تحقيق وتعليق: مصطفى عاشور، مطبعة القرآن للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987، ص 82.

إلى حد الرعشة، و التفاؤل إلى حد العشية!و يبقى بعد ذلك متفرداً حافلاً بالظلال و الحركة التي تشغف الخيال! و هي صورة خالدة لكل نفس حوارة لا تعتصم بإيمان، و لا بفطرة صادقة، و لا بحياء تتجمل به أمام الخطر. و هي طبيعة المرض و النفاق<>¹.

يمكن ان نلخص إلى أن وسائل التواصل بواسطة لغة الجسد هي التواصل الصامت الذي لا يقل أهمية و بلاغة عن لغة الكلام. فقد وجدنا أنها تتلخص في لغة العيون و تعبيرات الوجه، و كذلك حركات الأعضاء فالوجه هو المرآة العاكسة لما يختلج في النفس البشرية من الخواطر.

¹سيد قطب: في ظلال القرآن الكريم، 3296/1987، بيروت، ط 13، دار الشروق.

خاتمة:

نستطيع القول أنّ الجسد كموضوع هو اكتشاف رؤية و نمط جديد في فهم الذات، و تحديد علاقتها بالغير، ذلك لأنّ موضوع الجسد ظل لزمان طويل موضوعا مسكوتا عنه يترواح بين نظرة نسبية تدنيسية في الترتيب الوجودي، فهو الناقص في الترتيب الأخلاقي، و النسبي في الترتيب الجمالي إلى أن يتحول في عصورنا الحديثة و خاصة مع الفلسفة الفينومينولوجية إلى موضوع متصل بدلالات متعددة، مخترقا حقولا فلسفية و معرفية و دينية و أدبية و إنسانية.